

مقالة تحليلية

استمرار محاولات التهريب: تهديدات نتيهاهو للساحة السورية وما وراءها

سوريا، سواء بواسطته أو عبر حلفائه وأتباعه، وعلى النحو الذي كان متبعاً طوال سنوات الحرب السورية. الواضح أن الأوضاع وصلت إلى الحد الذي يستلزم من إسرائيل، إذا قررت تحقيق مصالحها كما يرد في خطوطها الحمراء المعلنة، أن تعتمد إلى المجازفة مع تلقي الأثمان المقابلة، وهو بدوره يفسر تعاطف التهديدات وتراكمها، بل أيضاً انفلاتها وإفراطها، لعلها تحقق النتيجة المطلوبة بالضغط على أعداء إسرائيل من دون تلقي أثمانها، أي تجنب تنفيذها.

من هذه الناحية تحديداً تحضر أمام طاوله القرار في تل أبيب دلالات مواجهة الأسبوع الماضي، باعتبارها عينة أو نموذجاً لما يمكن أن تصل إليه الأمور في حال تجاوز إسرائيل المحظورات وقررت المجازفة. يعني ذلك أن الكرة في ملعب تل أبيب التي لا تريد أن «تهضم» نتيجة الحرب السورية وخسارتها هي وحلفائها فيها، مقابل موقف الدولة السورية وحلفائها، الذين يترجمون بصورة طبيعية نتيجة الحرب التي خاضوها، وانتصروا فيها عسكرياً.

وكان نتيهاهو قد رفع نبرة التهديد في وجه الوجود الإيراني في سوريا في الكلمة التي ألقاها ضمن فعاليات المنتدى الأممي، وقال إن «إسرائيل ستتحرك ضد إيران وليس ضد وكلائها فحسب في الشرق الأوسط إذا لزم الأمر»، مؤكداً مرة أخرى أن «طهران تمثل أكبر تهديد للعالم».

وبينما كان يمسك بقطعة مما قال إنها جزء من طائرة إيرانية من دون طيار، أشار إلى أنها أسقطت بعد أن دخلت المجال الجوي الإسرائيلي (مواجهة الأسبوع الماضي)، قال نتيهاهو إن «إسرائيل لن تسمح للنظام بلف حبل الإرهاب حول عنقنا». ودعا المسؤولين والدبلوماسيين الأميركيين والأوروبيين للتعدي لإيران فوراً، وعرض خريطة تظهر ما وصفه الوجود الإيراني المتزايد في الشرق الأوسط. وقال إن إيران تزيد نفوذها بينما يسترد التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد «داعش» في العراق وسوريا أراضي من أيدي المتشددين. وأضاف: «المؤسف أنه بينما يتكلم داعش، تتوغل إيران، فهي تحاول إقامة هذه الإمبراطورية المتصلة حول الشرق الأوسط من الجنوب في اليمن لكنها أيضاً تحاول إنشاء جسر من الأرض من إيران إلى العراق وسوريا ولبنان وغزة... هذا تطور خطير جداً بالنسبة إلى منطقتنا».

كذلك، لا يمكن فصل مواجهة الأسبوع الماضي ونتائجها ودلالاتها في كشف موقف الجانبين وقدرتهما الفعلية على تنفيذ خيارات منطرفة، عن تهديدات إسرائيل أمس كما وردت على لسان نتيهاهو. فمن ناحية تل أبيب، التي عمدت إلى محاولة تظهير موقف دفاعي جراء المواجهة وأسبابها، عبر رواية أن طائرة إيرانية مسيرة خرقت أجواءها وكانت هي السبب والمحرك للمواجهة نفسها، لم تعتمد عملياً إلى ما يشير إلى أنها متوثبة وأن تهديداتها الاعتيادية المتواصلة ستترجم خيارات منطرفة ضد الدولة السورية وحلفائها. الرد الإسرائيلي جاء في أدنى مستوياته، رغم أن تل أبيب عمدت إلى رواية خرق الطائرة الإيرانية، ورغم إسقاط الدفاعات الجوية السورية طائرة «إف 16» في الجليل الأسفل، ورغم تحليق الصواريخ السورية فوق تل أبيب، فضلاً عن أصل قرار التصدي السوري ومعاينه ودلالاته الاستراتيجية. بناءً على ذلك، بات في الإمكان قراءة

بإمكان قراءة تهديدات نتيهاهو على أن العمل العدائي ليس وشيكاً

التهديدات الإسرائيلية، وتحديداً تهديدات نتيهاهو في ميونيخ، لا بوصفها تهديدات دالة على أن العمل العدائي الإسرائيلي المهدد به بات وشيكاً، أو يوجد توتب وتحفز إسرائيلي فعلي أني لتنفيذه، بل هو دال على فشل مقارنة إسرائيلية للساحة السورية في مرحلة ما بعد فشل المقاربة العسكرية للحرب السورية نفسها في تحقيق أهداف إسرائيل ومصالحها. وهي تهديدات دالة على الفشل وضيق الخيارات أكثر من كونها دالة على خيار عملائي توشك إسرائيل على تنفيذه.

رغم هذا التفسير الأكثر معقولة من التفسيرات التي تستند إلى المعاني المباشرة للكلمات الواردة في التهديدات أمس، فإن هذه التهديدات تظهر أن صانع القرار في تل أبيب وصل إلى الحد الذي لم يعد بإمكانه شن حروب ومواجهات محدودة المخاطر في

يحيى دبووق

تؤشر تهديدات رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتيهاهو، الموجهة إلى الوجود الإيراني في سوريا كما وردت في الكلمة التي ألقاها أمس في مؤتمر ميونيخ للأمن، على تفكير وربما توجه، يتعلق بضرورة نقل المعركة إلى مستويات أرفع وأكثر مباشرة مع الدولة السورية وحلفائها.

قراءة كلمة نتيهاهو وما ورد فيها من تهديدات تستلزم قراءة هادئة ومرتبطة بإمكانات الطرفين وقدرتهما على تفعيل خياراتهما النظرية، وليس فقط المعاني المباشرة للكلمات التي ترد في تهديدات إسرائيل تبعاً، وكان آخرها تهديدات نتيهاهو، وإن كانت بعينها تعد نقلة في سياق المواجهة بين الجانبين. مع ذلك، تعني التهديدات الإسرائيلية كما وردت من ميونيخ في قراءة أولية إقراراً إسرائيلياً بفشل المساعي والخطط لمواجهة الدولة السورية وحلفائها المغفلة حتى الآن في الساحة السورية، إن بواسطتها هي (إسرائيل) مباشرة أو عبر حلفائها (الأميركيين وتوابعهم)، فشل لا يبدو أن بالإمكان جبره أو المراهنة على المزيد منه ضمن المستوى نفسه من المقاربة لهذه الساحة، الأمر الذي يدفع إلى التلويح بالانتقال إلى مستويات وخيارات أخرى بديلة وردت إشارات في كلمة نتيهاهو عندما أكد أن إسرائيل لن ترد فقط على «وكلاء» إيران، بل ستعمد إلى الرد عليها مباشرة.

رغم هذا، التهديد المشار إليه يراد منه الدلالة على وجود خيارات لدى إسرائيل، مع الاطمئنان إلى أن قدراً كبيراً من إرادة التهريب واردة فيه، لكن يصعب التقدير أن بإمكان تل أبيب تنفيذه كخيار مجد، حتى مع التسليم النظري بإمكان تنفيذه عملياً نظراً إلى معوقاته وموانعه وأثمانه.

واضح أن إسرائيل ترى، في هذه المرحلة، ضرورة إطلاق التهديدات وتعزيزها وتشديدها في وجه الدولة السورية وحلفائها، وإن كانت تركز في خطابها على الجانب الإيراني تحديداً في المحور المقابل لها، وهي تهديدات تتعلق بالمرحلة الحالية حصراً التي تتطلب قدراً من الوعيد دون أن تعني إمكانية معقولة لتحقيقها عملياً، إن لم «تمتثل» الدولة السورية وحلفاؤها لمحاولات الإساءة الإسرائيلية، التي تسمى الخطوط الحمراء، وللتذكير، ثبت وجود فروق في ما يتعلق بتهديدات إسرائيل، بين التهديد نفسه، وإمكان تنفيذه فعلياً.

«ليس أمنياً»

«يعني الذهاب إلى حسابات جديدة لتعجل بالمواجهة العسكرية». إلى ذلك، أعلن الجيش الإسرائيلي في وقت متأخر، أمس، أن صاروخاً أطلق من غزة صوب مناطق «شاعر هنيغيف»، في وقت دوت صفارات الإنذار بالتزامن في «سدروت». كما نقل الإعلام العبري خبر إطلاق قذيفتي هاون على قوة للجيش تعمل قرب السياج الحدودي شمال القطاع، «لكن من دون إصابات»، فيما يتوقع أن تتصاعد الأحداث إلى ردّ مشابه للرد الذي حدث فجراً.

المقاومة إن إعلان الأخيرة التصدي للطائرات «يأتي في إطار إرسال رسائل إلى الاحتلال بعدم تجاوز الخطوط الحمراء وقواعد الاشتباك... المقاومة تواصل العمل لمواجهة سلاح الطيران ويمكنها تكرار سيناريوهات حدثت في شمال فلسطين المحتلة».

«يحمل إعلان القسام رسائل إيجابية»، يكمل المصدر، «لحور المقاومة عنوانها وحدة الهدف والعمل المشترك ضد الاحتلال، وفرض حالة من الردع عليه»، محذراً في الوقت نفسه من أن تنفيذ ليبرمان تهديداته

نتيجة ظروف غزّة تتعاطف الدلالات التكتيكية لهذه العملية (الناضوك)

يعود ذلك إلى أنها كشفت عن أن كل الرسائل التهويلية لم تنجح في ردع المقاومة، بل شكلت اختباراً لقدرة الردع الإسرائيلي في ظل محدودية خيارات الاحتلال وكلفة كل منها على المستويين السياسي والأمني. وما فاقم المأزق والحرص الإسرائيلي اقتراها بحالة التوتب والتوتر على الجبهة الشمالية مع سوريا، التي من غير الواضح حتى الآن كيف سينجلي المسار التصادمي الناجم عنها بين التصميم الإسرائيلي على العدوان، والتصميم السوري على إرساء مسار من الردود المدروسة باتجاه تحقيق الردع المؤمل لاحقاً.

مع ذلك، قررت المؤسسات السياسية والعسكرية الارتقاء بمنسوب الاعتداء على غزّة، إذ أعلن استهداف 18 هدفاً تابعاً لحركة «حماس» في القطاع، وتنبع خلفية هذا القرار من إدراك تل أبيب خطورة الاكتفاء بالردود التقليدية كونها تنطوي على رسالة ضعف تمس قوة الردع، وأيضاً لتأكيد أن إسرائيل لن توافق على قواعد جديدة للعبة، ولإيصال رسالة مضادة مفادها أنها لن تسمح بتكرار مثل هذه العمليات من دون رد قد يتصاعد.

كذلك، حرص العدو على محاولة عدم دفع فصائل المقاومة إلى الرد الصاروخي القاسي والمؤلم، وهو ما يشكل إقراراً صريحاً بتوفر القدرة والإرادة لدى قياداتها بالرد بمستويات محددة إذا ما اقتضى الأمر ذلك. أما عن اختيار «حماس» كهدف للاعتداءات، مع أن العدو لم يكن يعرف الجهة المنفذة حتى ذلك الوقت، فيعود ذلك إلى كونها كانت ولا تزال العنوان المسؤول في نظر العدو عن القطاع والطرف الأكبر من الفصائل المقاومة في غزّة، وأيضاً لمحاولة الضغط عليها لدفعها إلى كبح مسار تنفيذ العمليات ضد قواته وضد المستوطنين، عبر تدفيعها ثمن أي عملية حتى لو لم تكن هي المنفذة. المؤكد أن عملية العلم وما سبقها تؤسس لمرحلة جديدة من المقاومة، وتعرّز مسارها التصاعدي، إذ يتوقع في هذه الحالة أن يتحول الاحتلال إلى مازق ينعكس مزيداً من الإرباك على مستوى الأداء السياسي والعملائي.



الفلسطيني الذي كان مفخخاً. قساوة النتائج والدلالات الكامنة في هذه العملية وضعت صانع القرار في إسرائيل أمام معضلة صعبة جداً؛



قال معلقاً الشؤون العسكرية في القناة المباشرة، الون بن دافيد، إنه «عندما توجه نتيهاهو بالسواك إلى وزير خارجية إيران، وهو يحمل قطعة من الطائرة المسيرة، لم يكن الأخير موجوداً بين الحضور» (أف ب)